الأوراق البردية الخاصة بالطب

كل ما أوصلنا إليه اجتهاد الباحثين جهد استطاعة الإنسان عن قدماء المصريين وآدابهم وصناعاتهم ،التي أعجزت الأمم الأخرى يرجع الفضل فيه إلى حل الرموز والنقوش التي وجدت ببعض الجدران في هياكل المغارات وسفوح الجبال وبطون الأودية والصحارى، وإلى تلك الأوراق البردية التي عدت المدينة مدينة لما أودعته من دقائق الأسرار، ومنها ما كان مكتوبا بالخط الهيراطيقي بالمدادين الأحمر والأسود، وهذا الخط هو مختصر الخط الهيروغليفي الذي وفق لاستنباط حروفه ووضع أبجديتها التفصيلية المكتشف الشهير فرنسوا شاباس، إذ هو الذي بعد طول العناء والتفرغ بمواهبه الذهنية ألهم الوصول لكشف هذه الغوامض، وباستمراره استطاع في النتائج الهامة فأفاضت عوارفه عل العالمين أهم ما استفادوه وأشد ما كنوا في احتياج لفك طلاسمه وعنه تناقلت الألباب القواعد الأبجدية لهذه الخطوط ورموزها ومغازى أشكالها التركيبية في الوضع والاتساق بحذق ومهارة نادري المثال. ومن الخط الهيراطيقي نقل الفينيقيون أبجديهم التي تفرعت منها الأبجدية العلمية لعلماء اليونان والرومان.

وكان من بين هذه الأوراق ما يمتاز بالرونقة والتذهيب والإبداع في النقوش دلالة على نفاسة موضوعاتها، سواء كانت خاصة بالعلوم الدينية وآداب النفس أو بالفنون الطبية بأنواعها فأقدرها المكتشفون حق قدرها كما خصها واضعوها بعنايتهم في الزخارف.

وقد أكثر المؤلفون في كتبهم من التمدح بورقتين برديتين طبيتين أحداهما ورقة إبرس (Ebers) والثانية ورقة برلين، فالأولى اكتشفت في مدينة طيبة سنة ١٨٧٣ وكانت في حرز (ملف) طوله واحد وعشرون متراً وعرضه ٨٠ سنتيمترا. واجتهد في شرائها الدكتور إبرس أثناء وجوده بمصر حينئذ لفرط شغفه بالفنون الطبية وخدمة

طلابها بمثل هذه المفائس، وقد اعتنوا بحفضها في مكتبة ليبزيج (Leijzin) وجعلوها تسعة وعشرين جزءا ترتبت في بواريز وقاية لها، وأتم ترجمتها بعده العالم الأثري الكبير يواكيم ترجمة علمية صحيحة تسهيلا للاقتباس منها، وهى على وضع كتاب صفحاته مائة وعشرة ويرجع تاريخها إل ١٥٠٠ ق.م. والحرز الذي وجدت به في مقابر طيبة يدل على أن القوم في عهدها كانوا يصفونها بأنها من صنع معبودهم (تحوت) وفيها ضوابط وقواعد علمية تعد من أمهات المسائل لأنواع من الأمراض الفاشية في ذاك العهد كأمراض العيون وأمراض النساء. وفيها فصول أخرى عن خواص العقاقير والنباتات وما يعالج به لدغ الحيات والحشرات الأخرى، والأخير منها يتكلم عن السحر وتأثيره. ولكون موضوع السحر علميا ينبو عن الأذهان إدراكه فلم يكن في استطاعه المترجمين صوغ عباراته بإجادة تقرب المعاني إلى الإفهام.

والورقة الثانية ورقة برلين الطبية المكتشفة بمدينة منفيس بالقرب من سقارة كانت في حرز من الطين، وهي ذات أجزاء ثلاثة يرجع تاريخ الأول والثالث منها إلى سنة ١٢٧٥ ق.م . أي إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة والجزء الثاني بعضه يرجع إلى عهد الملك حو سافيتي (Hausaphiti) من الأسرة الأول؛ وقد أتم باقيه الملك سنفرو من الأسرة الثالثة سنة ٤٠٠٠ ق.م. وهي من القسم المصري المعد للتحف الثمينة في متح برلين على نمط كتاب علمي قل أن نسجت طيد الدهر عل منواله، مكون من ٢١ صحيفة فقدت منها الأولى والثانية، فيها تشخيصات لأمراض شتى وطرق متعددة لمعالجتها ، وفيها أيضا صور تذاكر طبية نحو مائة وسبعين بأوصاف ومعالجات وتراكيب عقاقير متنوعة لهذه الأمراض وما يناسبها، وفي الجزء الثاني بيان خاص للأوعية الشريانية ودورة الدم وما يتبع ذلك، وفي الجزء الثالث بحث دقيق عن الأمراض النسائية. ولغموض اصطلاحاته الفنية بنقط كثيرة في تشخيصاتها لم يستطع المترجمون إيفاء الترجمة حقها من وضوح العبارات.

وكثيرا ما توصل الباحثون إلى أوراق بردية كتبت في عصور عديدة عن المباحث الطبية وغيرها، ولكنها لا تضارع هاتين الورقتين في الشهرة والقيمة التاريخية والمنزلة

العلمية. ومن هذا القبيل ورقة لندن البردية التي يرجع عهدها إلى ١٥٠٠ سنة ق.م. وفي الأسرة الثامنة عشرة الشاملة للتداوي بالكي (وهو في بعض العوارض يفيد أمزجة أفراد من سكان الأقاليم الحارة).

اكتشف العالم الأثري فلندرس بترى سنة ١٨٩٣ بناحية اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين برديتين من عهد الأسرة الثانية عشر يرجع تاريخهما إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م موضوع الأولى الطب البيطري وموضع الثانية الأمراض النسائية.

وعثروا في سنة ١٩١٣ على ورقة بردية بمصر كثيرة الشبه بورقة إبرس الطبية السالف ذكرها، اشتملت على بعض الأساليب السحرية وعلى طرق من أمراض متفشية وقت تدوينها ومن قبيلها أيضا ورقة اشتهرت بورقة ليد (Leide) فيها وسائل طبية وقوانين للتوقي من الأمراض وإيقاف عوارضها ومنع انتشار العدوى؛ وفيها شذرات تتلى لطلب الشفاء كما كان عليه اعتقاد البعض المعتادين على التداوى بالرقي والتمائم ونحوها كما سفلت الإشارة إليه.

ووجدت أيضا أوراق بردية بوصف عملية الهضم والقناة الهضمية وأمراض التناسل لنوعي الإنسان والأمراض البولية ونحوها. وتصف أوراق بردية طبية أخرى الكبد وخواصه، وأن منه تنبعث الصفراء وعوارضها، وكل ذلك من الأدلة الحسية على اهتمامهم بعظائم العلوم، ومن بينها الفزيولوجيا والتشريح حتى توصلوا إلى إتقان التحنيط والتفرد فيه بدرجة بهرت العالمين. فكانوا غيرة على العلم وكمانه عن غير أهله وإتقاء لما يطرأ على الجسم وقت إجرائهم التحنيط يسرعون في عملهم وتضميد أجزاء الجسم إسراعا لا تدركه الأبصار حتى لا يعرف الأجنبي شيئا من مهارتهم، ولا يستطيع مسترق لسمع فهم كلامهم الذي يتخابطون به وقت ذلك وهذا من مواهب الفطنة وحزامه الرأى بمكانة عظمى لا يستهان بها ،وكفى أن هذه الآثار مرآة ساطعة لمجدهم فتتجلى بالمفاخر أمام الأجيال ويرتد عنها طرف الدهر خاسئا حسيراً.

ومهما أطال الواصفون في أهمية الآثار العلمية التي أكتشفت على صفحات

البردي وغيره فلم تبلغ ما لباقي هذه الآثار العمرانية العديدة من الواقع المدهش في النفوس ،خصوصا أن المقابر الملكية والمعابد والآثار التابعة لها والجثث المحنطة المحتوية عليها كلها ناطقة بفضلهم وتفوقهم في كافة العلوم الممارسين لها كالطب والتشريح والنسيج وصوغ المعادن والجراحة والغزيولوجيا وخصائص النبات وما يتعلق بالمرأة من العلوم النفسية والنفاسية والصحة والحمل والوضع والرضاع والتربية. فكل ما تدعيه الحضارة المدنية الحديثة أمام هذه الحقائق الساطعة مهما بلغ من عظم الشهرة والذيوع في الممالك لا يعد صحيحه إلا التقاطا من فتات موائدهم واكتحالا بثرى أقدامهم.

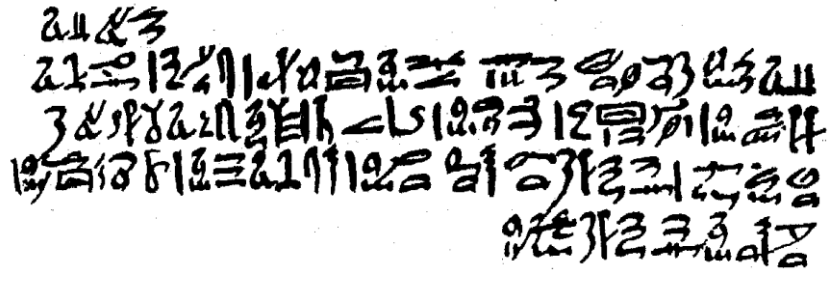

تذكرة طبية لنص مصري قديم مكتوب بالخط الهيراطيقي على ورقة إبرس الطبية ويقرأ من اليمين إلى اليسار وإليك قراءته وترجمته بالعربية.

(١) اللفظ بالعربية

أ) ك – ت ن – ت در كا كاو – ت م ع – ت نب – ت ن – ت س عد عش سف – ت خساي – ت حر نس ش حرتي وبد مو نزا سنا أماو م خت وع ت جس أم.

ب) ك – ت حما – ت – مح – ت حسا حسمن دشر مرح – ت – جس أم عش – و (عش – و) سب تي

(٢) الترجمة بالعربية

أ) (علاج) آخر لدرء كاكاو (ربما كان داء السرطان) من أي عضو انسان دهن الأرز (أ). خشخاش (٠) (أ) لسان البركة (أ). صداء الرصاص (٠) (أ) أوبد (أ) (دواء) يصحن ناعما وماء ويمزح معا ويدهن به.

ب) ملح بحري (أ). سائل نيلي (أ). نطرون احمر (أ). زيت (أ) يدهن به مرارا مرارا.

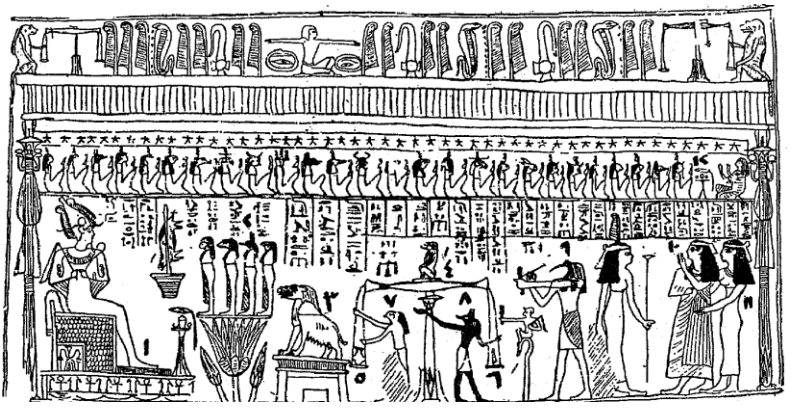

(محاكمة النفس بعد الموت عند القدماء المصريين مقتطفة من ورقة إبرس الطبية)

(١) أوزوريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (٢) ابناه حورس آلهة أربعة أركان العالم (٣) الوحش ست إله العذاب (٤) الميزان الإلهي (٥) كفه الميزان اليمني بها قلب الميت رمز لأعماله (٦) كفة الميزان اليسرى بها معيار الحق (٧) الإله حو يس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات (٨) الإله أنوبيس يراقب كفة معيار الحق (٩) الإله نحوت قاضي الإحالة يسجل نتيجة الحكم (١٠) الروح تتبرأ من كل ذنب وخطيئة أمام رئيس القضاة (١١) المعبود ماعت إلهة العدل قابضة على الروح (١٢) القضاة وأمامهم الروح تحاسب بين أيديهم,